أ. ليلى دسوّم

المركز الإسلامي في الاكوادور - مسجد السلام

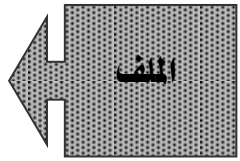

دور الإيمان في تحقيق السلام الاجتماعي

الحمد الله رب العالمين على فضله وكرمه علينا، إذ هدانا إلى الإسلام، وفضلنا على كثير من عباده، إذ انزل الكتاب ليحكم بين الناس بالعدل والإحسان واشهد ان لا اله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله، فقد أدّى الأمانه، صل الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والتابعين لهم باحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيراً.

أمّا بعد، فإن اعظم كنز يمكن ان يمتلكه الإنسان هو الإيمان انه جوهرة ثمينة منَّ الله على عباده الصالحين، الذين اختاره من بين سائر البشر؛ لذلك من ملك الإيمان الذي وهبه الله، فقد ادرك شوطا كبيرا من الفلاح في هذه الدنيا وفي الاخرة. ويجب ان نسأل الله سبحانه وتعالى ان يمنحنا الثبات على الإيمان الصادق، فهو النور في قلوبنا والنور الساطع على درب الحياة، الذي يوصلنا بأمان إلى هدفنا وهي الآخرة الأبدية والتي نعمل من اجل ان تكون من رضا الله والبعد عن سخطه.

قال الحسن البصري (رحمه الله):

ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

ولهذا عرّفه أهل السنة والجماعة، بأنه قول باللسان واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ونلاحظ عندما ندرس السيرة النبوية، ونتأمل ما انزل الله في بداية الرسالة انه سبحانه وتعالى، ركز تركيزا هاما على الإيمان.

فنجد اول السور والايات التي نزلت تشير إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والسور والايات عديدة جدا تعتني بمبادئ الإيمان.

فاهتم الله سبحانه وتعالى اولا فيما تحتوي القلوب من ايمان وتقوى ويقين بأننا سنرد إليه في يوم لا ريب فيه.

وبأنّ هذه هي دار ابتلاء، وامتحان. وانها ليست دارنا الابدية، بل الدار التي نزرع فيها كي نحصد ثمارها باذن الله، بعد موتنا.

وبعد ان رسخ الإيمان في قلوب المسلمين واصبحوا مؤمنين، ايمانا كاملا وخالصا لله، انزل الله التشريع وبيّن الحلال والحرام.

قال الله في كتابه الكريم ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

فنجد ان الإيمان الذي وقرفي القلوب وصدقته الاعمال هو سبب مباشر للحصول على الأجر. ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

في هذه السورة الكريمة نجد مخلص السّر العظيم كي نصل إلى الفلاح والنجاة.

فيركز الله سبحانه وتعالى، أولا على الإيمان، يليه مباشرة العمل الصالح الذي يقوم به المرء بنفسه أولا ثم يوصي بالحق للآخرين، لانّ الفرد وحده لا يمكن ان يحصل على النتيجة الكاملة إلاّ إذا شارك فيها الآخرين. لذلك اهمية الأمر بالمعروف والنهي عن الباطل الذي يجلب سخط الله اولا وفساد المجتمع ثانياً.

وهذا نلاحظه في المجتمعات التي يعم فيها الفساد، ان كل انسان في حاله، لا يهتم بالآخر. لكن هذا يمثل خطراً كبيرا، عاجلا ام اجلا سيؤثر عليه نتيجة السلوك الفاسد ولو كان بغيره.

كمثل السفينة ذات الطابقين، الاعلى والاسفل، فإذا خرقوا السفينة من الاسفل مثلا لابد ان يهلك الجميع، ما لم يقم احد بترميم الخلل قبل فوات الأوان.

واخيرا يذكر الصبر، والصبر مفتاح النصر في العديد من المواقف، مالم يكن في جميعها من بعد توفيق من الله أولا وآخراً.

فنصبر على طاعة الله وعلى المكاره. ونصبر على الوقت الذي قد يطول امدا طويلا كي نصل إلى النتائج المنشودة.

فيجب ان نخطط جيدا على مستوى الفرد والمجتمع ونحدد الأهداف التي نريد

الوصول إليها ان شاء الله، ونسعى إلى إتمام هذه المشاريع الخيرة باذن الله ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مخرجاً، وَيَرْزُقْهُ مِن حيث لَا يحتسب﴾.

والايمان بالله هو المحرك الأساسي في حياة الفرد والجماعات، فالإيمان بالله وبأننا سنرد إليه لا محالة، هو سبب رئيسي لينظم المرء تصرفاته في هذه الحياة. لذلك نجد ان سلوك الإنسان يتوقف على ما يدور في قلبه وعقله من ايمان وتقوى الله في اقواله وافعاله.

فنجد عندما ندرس المجتمعات الإسلامية الأولى التي كانت حافلة بالإيمان بالله، وعبر التاريخ الإسلامي المجيد، عندما كانت الناس تؤمن بالله ايمانا ثابتا ويقينا وتعمل على حسب هذا لايمان، نجدها حافلة بالنصر والعدل الاجتماعي والالفة بين الناس والحقوق مضمونة بين افرادها، والامن سائد في كل مكان.

اما ما اوحى الله إلى نبيه الكريم من اجر على الاعمال الصحالة إذا قام بها، والعقوبة في الدنيا والآخرة إذا كانت اعماله فاسدة جالبة لسخط الله، فهذا امر مهم جدا في تصرف الإنسان.

فنجد مثلا في المجتمعات الغربية، حيث القوانين هي قوانين بشرية، مليئة بالأخطاء، احيانا مقصرة في العقاب واحيانا مفرطة.

فهي مجتمعات تعم فيها الفوضى من جميع النواحي، فقد هرب الأمان من حياة الناس، جالبة على نفسها الخزي في هذه الدنيا وفي الآخرة اشد وامر.

وعندما تبدأ مجتمعاتنا الإسلامية باسترداد ونقل ما عليها مجتمعات الغرب من عادات وافكار ومبادئ هدامة، فسنعاني دون شك نفس المشاكل التي يعانون منها.

في نفس الوقت نجد ان في بعض هذه المجتمعات الغربية، هناك تيارات فكرية وجدت في المبادئ الإسلامية حلولا منطقية للعديد من مشاكلها الاجتماعية. وهي تقوم بمجهود واسع لإفهام الناس هذه المبادئ الطبيعية وما هي الا ما فطر الله في النفوس البشرية.

السلوك البشري

ذكرنا آنفاً ان الله سبحانه وتعالى انزل الحلال والحرام والشرائع بعدما وقر الإيمان في القلوب.

فهذا المبدأ في غاية الأهمية إذا اردنا ان يتحسن سلوك الفرد ومن ثم سلوك المجتمع.

على الفرد ان يغيّر ما بنفسه اولا من انحراف في العقيدة أو نقص في ايمانه، طالبا من الله العون والهداية.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

الأعمال التي لا يحركها الإيمان الصادق لا ثمر طيباً لها.

لأنّ الأجر في الآخرة هو المحرك الأصيل والثابت، مع أن الله يكرم عبده، فيلقي عليه بعض هذه الثمرات الطيبة في هذه الدنيا، كما هو الأمن والأمان في المجتمع وازدهار التجارة والعمران الحضاري. وهذا جزء بسيط لا يوازي الأجر العظيم الذي اعده الله لعباده المؤمنين.

ثمر الإيمان والتقوى

الإيمان يمشي يداً بيد مع التقوى، فهي الرادع من الوقوع في المحرمات، وهذا له تأثير بالغ على تصرفات المرء الفردية والاجتماعية.

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾

فالتقوى تبعدنا عن الوقوع في المحرمات والمعاصي وتبعدنا عن الظلم، ظلم انفسنا وظلم الآخرين. وهذا يوصلنا إلى ثمرة العدل. والعدل امر ينشده أي انسان وأي مجتمع.

والاسلام بني على العدل. وعدالة الإسلام اشتهرت بين الناس عبر التاريخ. فالمسلم يقول الحق ولو على نفسه، لأنه يتقي الله في قلبه حق تقاته.

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

كل هذه المبادئ تعين الفرد على الاستقامة في الحياة، لنجد ان سلوكيات البشر حينئذ هي المثالية.

فلندع الله ان يثبتنا على الإيمان وان يرسخ في قلوبنا التقوى وان يعيننا على الإستقامة في حياتنا اليومية وان ننال رضاه في الدنيا والآخرة وان يجعل افضل ايامنا يوم نلقاه.